









الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

البيئـــــة



الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: البيئة

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة: الثانية- نيسان 2005 -1426 هـ

سلسلة الإجتماعيات الإسلامية

البيئـــــة

إعداد

مركز نون للتأليف والترجمة

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org


بسم الله الرحمن الرحيم



الفصل الأول

ما هي البيئة؟
وكيف ينظر إليها الشرع؟



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن البيئة هي من الأمور المهمة التي تنعكس آثارها على مستقبل الإنسان وتؤثر على حياته في جانبها المادي والمعنوي، وهي من الموازين التي تميز بين الحضارات وتطورها... وقد اهتم الإسلام بالبيئة اهتماماً شديداً ووضع تشريعاته وآدابه الخاصة في هذا المجال.

في هذا الكتيب نلقي الضوء على ملامح النظرة الإسلامية للبيئة وبعض توجيهاته في هذا الإطار، التي على الإنسان أن يحولها إلى برنامج عمل وممارسة يومية.

يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿ ... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[1].

أي طلب إليكم أن تعمروها. وبحسب تعبير العلامة الطباطبائي في تفسير الاية أنه تعالى هو الذي أوجد على المواد الأرضية هذه الموجود المسمى بالإنسان، ثم كملها بالتربية شيئاً فشيئاً وفطره على أن يتصرف في الأرض بتحويلها إلى حال ينتفع بها في حياته، أي فطره على أن يسعى في طلب إعمارها فعمارة الأرض هي من فطرة اللّه في خلقه.

وعمارة الأرض تقتضي حمايتها وحظر الافساد فيها بتخريب عامرها وتلويث طاهرها وإهلاك أحياءها واتلاف طيباتها.

كما أن الإنسان أنيط به خلافة الأرض:

﴿ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾[2].

ومعنى الاستخلاف هو أن الإنسان وصيّ على هذه البيئة (الأرض) ومستخلف على إدارتها وإعمارها وأمين عليها، ومقتضى هذه الأمانة أن يتصرف فيما استخلف فيه تصرّف الأمين عليها من حسن استغلالها وصيانتها والمحافظة عليها.

والدين من خلال اهتمامه بالإنسان باعتباره محور هذا الوجود وكل ما فيه مسخّر لأجله، كان لا بدّ من أن

---

(١) سورة هود، الآية/ ٦١.

(٢) سورة البقرة، الآية/ ٣٠.

ينعكس هذا الاهتمام على كل ما له علاقة به، ومن ضمنها الطبيعة التي هي المحور الاخر لعلاقة الإنسان بعد علاقته بأخيه الإنسان، وكل واحد من المحورين له تأثير في الآخر كما ربما يظهر من الآية الكريمة:

﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ...** ﴾[1].

وقبل الدخول في تفاصيل ذلك لا بد من تعريف البيئة وتحديد موضوعها ومورها ومن ثم بيان بعض الايات الكريمة التي تسلط الضوء على عمق علاقة الإنسان بمحيطه وبيئته.

تعريف البيئة:



قد تكون كلمة بيئة في اللغة العربية مشتقة من فعل بوأ، فتأتي بمعنى الإنزال والإسكان كما في قوله تعالى:

﴿ **وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ...** ﴾[2].

---

(١) سورة الروم، الآية/٤١.

(٢) سورة يوسف، الآية/٥٦.

أي ينزل فيها حيث يشاء ويريد. والاسم (البيئة) أي المنزل.

وعلى هذا يمكن تعريف البيئة على أنها الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقوّمات حياته من غذاء وكساء ودواء، أي كل ما يحيط بالإنسان ويؤثر فيه ويتأثر به سلباً أو ايجاباً فتشمل جميع الموجودات التي تحيط بالإنسان من يابسة وماء وسماء ومخلوقات حيّة وغير حيّة من حيوان ونبات ومناخ وتربة، كما أن مفهوم البيئة اليوم لم يعد قاصراً على الجوانب الطبيعية وإنما اتسع ليشمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية التي صنعها الإنسان وعلى هذا نخلص إلى نموذجين للبيئة وهما:

- البيئة الطبيعية: وهي التي ليس للإنسان دخل في وجودها.

- والبيئة البشرية: وهي بيئة من صنع الإنسان وتعدّ انعكاساً لطبيعة التفاعل بين الإنسان وبيئته أي سلوك الإنسان وإنجازاته داخل بيئته الطبيعية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى عمق ارتباط الإنسان بيئته في الكثير من آياته الشريفة، ومن هذه الآيات:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ

لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[1].

﴿ وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ ﴾[2].

﴿ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾[3].

﴿ ... هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ... ﴾[4].

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5].

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[6].

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة ابراهيم، الآيات/٣٢-٣٤.
(٢) سورة الرحمن، الآية/١٠.
(٣) سورة الذاريات، الآية/٤٨.
(٤) سورة هود، الآية/٦١.
(٥) سورة الجاثية، الآية/١٣.
(٦) سورة الروم، الآية/٢٠.
(٧) سورة النحل، الآية/٨٠-٨١.

البيئة في المنظور الإسلامي:

١ - البيئة خلقت بدقة بالغة ومتوازنة:

خلق اللّه سبحانه وتعالى البيئة وأحكم صنعها بدقة بالغة من حيث الكم والنوع والخصائص والوظيفة.

قال تعالى:

﴿ ... صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ... ﴾[١].

فكل عنصر من عناصر البيئة بهذا القدر وبهذه الصفات كما حددها تعالى يكفل لهذه العناصر أن تؤدي دورها المحدد والمرسوم لها من قبل الخالق القدير، في المشاركة البنّاءة في الحياة في توافقية وانسجامية غاية في الدقة والتوازن:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[٢].

﴿ ... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾[٣].

هذا التقدير البالغ الدقة الذي هو من صنع حكيم خبير هو الذي يعطي لكل عنصر أو مكوّن من مكوّنات البيئة طبيعته الكمية والنوعية ووظيفته وعلاقته بالمكونات الأخرى.

٢ - البيئة خلقت مسخَرة لخدمة الإنسان:

خلق اللّه البيئة وذللها سبحانه وتعالى وسخّرها لخدمة الإنسان:

---

(١) سورة النمل، الآية/٨٨.

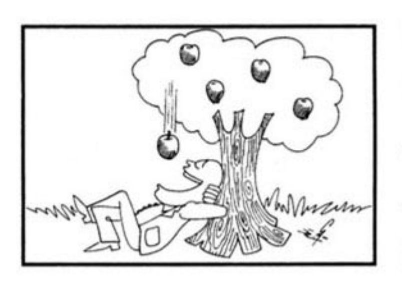
(٢) سورة القمر، الآية/٤٩.

(٣) سورة الفرقان، الآية/٢.

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[1].

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً... ﴾[2].

فالبيئة وفق هذه الايات وغيرها، بأرضها وسمائها ومائها وهوائها وجمادها ونباتها وحيواناتها، كل ذلك قد خلقه الحق تبارك وتعالى مسخّراً مذلّلاً للإنسان.



٣ـ البيئة يحفظها اللّه تعالى:

فالبيئة التي خلقها تعالى لتفي بكل متطلبات الإنسان، قد حفظها اللّه تعالى وحماها من مخاطر كثيرة كالإشعاعات الكونية الفضائية والشهب والنيازك.

قال تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾[3].

فاللّه تعالى أتقن صنع البيئة وأحاطها بدروع واقية من الأخطار القادمة من الفضاء، هذه البيئة هي نعمة

---

(١) سورة الملك، الآية/١٥.

(٢) سورة لقمان، الآية/٢٠.

(٣) سورة الانبياء، الآية/٣٢.

مهداة من اللّٰه تعالى يجب شكرها ومقتضى شكرها أن نسعى إلى حمايتها والمحافظة عليها، لذا حذّر تعالى كل من يسيئ استخدامها أو يفسدها أو يبدلها بالعقاب الشديد:

﴿ ... وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1].

(١) سورة البقرة. الآية/ ٢١١.



الفصل الثاني

قواعد ومبادئ تقنن علاقة الإنسان ببيئته



لقد ضُمّن الإسلام مجموعة من المبادئ والقواعد التي تضبط سلوكيات الإنسان في تعامله مع بيئته بما يصونها ويحفظها، منها:

الدعوة إلى الإصلاح والنهي عن الفساد والإفساد:

الفساد ضد الصلاح، وهو كل سلوك بشري يفسد نعم اللّه ويحيلها إلى مصدر ضرر وخطورة على الحياة، وقد نهى الإسلام عن الفساد والإفساد:

﴿ ... وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ... ﴾[1].

فكل شيء بما فيه الأرض بشؤونها قائم على الصلاح ولكن الإنسان هو الذي يفسد، وفي قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[2].

ورد أنها نزلت في الأخنس بن شريق الذي أقبل على النبي وأعلن إسلامه ثم خرج فمرّ بزرع فأحرقه، وحمر فعقرها فذكر تعالى ما فعله الأخنس بأنه إفساد ومخالف للسلوك الإسلامي القويم.

الدعوة إلى الاعتدال:

على الإنسان نبذ الإسراف وسلوك الطريق الوسطى فلا افراط ولا تفريط، وهو مبدأ عام لا يختص في جانب

---

(١) سورة الأعراف، الآية/٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية/٢٠٥.



معين، فقد نهى الإسلام عن الإسراف لما فيه من أضرار كثيرة، وهو كل سلوك يتعدى الحدود المعقولة والمقبولة، وإذا عطفنا الكلام على موضوع البيئة فإنه يتمثل في الاستخدام المفرط لموارد البيئة بما يشكل خطراً وضرراً على البيئة ومواردها:

﴿ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[1].

﴿ ... وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[2].

فهذا النص القرآني عامّ فيشمل كل سلوك إنساني.

والحق أن الإسراف في استخدام موارد البيئة قد يهدّد البشرية بأخطار كثيرة؛ فمثلاً الإسراف في قطع الأشجار والنباتات أدى إلى مثل جرف التربة الفيضانات العنيفة انتشار التصحّر، الاختلال في دورة الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون وغير ذلك. والقرآن دعا من خلال هذه الايات إلى الاعتدال والوسطية، أي الاستخدام الراشد والاستثمار دون استنزاف لأن اللّه جعل لكل شيء قدراً ومنها البيئة، والموازنة بين القدرة الانتاجية للبيئة

---

(١) سورة الأعراف، الآية/٣١.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان/٢٦-٢٧.

وبين النمو السكاني، والموازنة بين الأعمال اللازمة لاشباع احتياجاته المتسارعة وبين المحافظة على البيئة سليمة خالية من العطب والخلل، فلا تعني حماية البيئة أن نترك كنوز الأرض في مواقعها، ولا التحريم المطلق للاستفادة من ثروات الأرض الحيوانية والنباتية بل تعني الاستفادة دون إسراف لأن البيئة ليست ملكاً لجيل بعينه يتصرف بها كيف يشاء بل هي ميراث البشرية.

رعاية الأحياء الفقيرة:

كما دعا الإسلام إلى الحفاظ على موارد البيئة ومكوّناتها، ودعا إلى عدم الإسراف في استخدامها فإنه حارب أيضاً كل ما يؤدي إلى فسادها، ولا شك أن الفقر هو أحد الأسباب الكامنة لانتشار الأمراض والأوبئة، لذلك رغب الإسلام في بناء مجتمع يتكامل أبناؤه اجتماعياً، وإضافة إلى ما أوجبه من فرائض مالية كالخمس والزكاة، دعا إلى الإنفاق والتصدق بما يرفع حاجة المحتاجين، وما أكثر الآيات الشريفة الواردة في ذلك:

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(١).

---

(١) سورة البقرة، الآية/٢٦٥.

الدعوة إلى استزراع الأرض وحماية البيئة:

أودع تعالى في مكونات البيئة الحيوية الكثير من المنافع الملموسة وغير الملموسة التي سخرها بقدرته وحكمته لخدمة الإنسان وتوفيراً لمتطلبات حياته قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا... ﴾(1).

﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(2).

وهذه الآيات واردة في مقام المِنّة على الإنسان وأنه تعالى أنعم بها على الإنسان فواجبه هو أن يقوم بشكرها والمحافظة عليها من التلف أو التلوّث أو غير ذلك.

لأن هذه المخلوقات والكائنات تشاركه الحياة وأن وجودها مهم لاستمراره.

الابتعاد عن المعاصي:

فإن المعاصي لا يقتصر أثرها على العقاب الأخروي بل إن بعضها سبب في انتشار الأمراض الخبيثة.

فعن رسول الله ﷺ:

«يا علي في الزنا ست خصال ثلاث منها في الدنيا، وثلاث في الاخرة فأما التي في الدنيا فيذهب بالبهاء، ويعجّل الفناء ويقطع الرزق»(3).

---

(1) سورة النحل، الآية/١٤.

(2) سورة النحل، الآية/٥.

(3) ميزان الحكمة، ح٧٦٤٨.

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«... وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذرانِ الديار بلاقع من أهلها... »[1].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام:

«وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ... وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها»[2].

وبمضمون هذه الروايات وردت روايات أخرى كثيرة تثبت الأثر الدنيوي للذنوب وخصوصاً على مستوى الرزق والثمر والمطر.

وليس أدل على ذلك من الآية الكريمة:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[3].

وهكذا فإن اتباع الإنسان لهواه، وركضه وراء شهواته واشباع غرائزه على حساب المثل العليا، وترجيحه لرغبات يومه دون التفات إلى غده، يُحدث الفساد في الكون كلّه:

﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ... ﴾[4].

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢١، ص٤٩٣.
(٢) الكافي، ج٢، ص٣٧٤.
(٣) سورة النحل، الآية/١١٢.
(٤) سورة المؤمنون، الآية/٧١.



الفصل الثالث

كيف
نحافظ على البيئة؟

في الأحاديث الشريفة دعوة صريحة إلى التعاطي الإيجابي مع مكوّنات البيئة بمائها ونباتها وحيوانها وهوائها وغيرها وفي ما يلي إطلالة على ذلك:

١ـ في مجال الحفاظ على الثروة النباتية:



دعا الإسلام منذ أربعة عشر قرناً إلى استزراع النباتات والأشجار وحمايتها وحث على التشجير والزراعة ولدينا كمّ كبير من الروايات في هذا المجال نذكر منها:

روي عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنه قال لرجل سأله فقال له: جعلت فداك أسمع قوماً يقولون إن الزراعة مكروهة؟ فقال عليه السلام:

«ازرعوا وأغرسوا فلا واللّه ما عمل الناس عملاً أجلّ ولا أطيب منه»[1].

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

«كان أبي يقول خير الأعمال الحرث يزرعه فيأكل منه البرّ والفاجر»[2].

---

(١) الكافي، ج٥، ص٢٦.

(٢) م.ن.

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«الزارعون كنوز الأنام يزرعون طيباً أخرجه الله عز وجل وهم يوم القيامة أحسن الناس مقاماً وأقربهم منزلة ويدعون المباركين»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كانت له به صدقة»[2].

وعنه صلى الله عليه وآله:

«إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها»[3].

وعنه صلى الله عليه وآله:

«من نصب شجرة وصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله»[4].

فهذه الأحاديث وغيرها دعوة جادّة نحو التخضير ونشر الخضرة في كل مكان بل يظهر مدى الاهتمام الذي أولاه الإسلام بزرع الأرض واستصلاحها أنه أعلن قانوناً عاماً في قول النبي صلى الله عليه وآله:

«من أحيا أرضاً ميتة فهي له»[5].

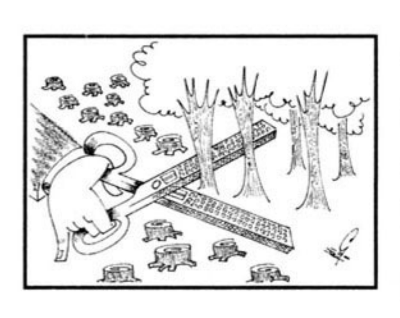
---

(١) حلية المتقين، ص٦٦٢.
(٢) مستدرك الوسائل، ج١٣، ص٤٦٠.
(٣) ميزان الحكمة ج٢، ص١٤١٠.
(٤) كنز العمال، الحديث ٩٠٨١.
(٥) مستدرك الوسائل، ج١٧، ص١١١.

فلا شك أن هكذا قانون يوجد الحافز الكبير لدى الناس لاستثمار الأرض. بالإضافة إلى ثواب الآخرة الذي اشارت له الرواية عن النبي الأكرم ﷺ:

«ما من امرئ يُحيي أرضاً فتشرب منها كبد حرى أو تصيب منها عافية إلا كتب الله تعالى له به أجراً»(١).

مكافحة التصحر:



وكما حث الإسلام على الزرع فقد نهى عن الفعل المعاكس أي القلع وقطع الأشجار؛ فقد ورد عن الإمام أبي عبد اللَّه عليه السلام:

«لا تقطعوا الثمار (أي الأشجار المثمرة) فيصبّ الله عليكم العذاب صباً»(٢).

بل ورد أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام:

«أخرج يا علي فقل عن اللَّه لا عن الرسول: لعن اللَّه من يقطع السدر»(٣).

وعنه ﷺ:

«ما من نبت إلا ويحفّه ملك موكّل به حتى

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٤١٠.

(٢) وسائل الشيعة، ج١٩، ص٣٩.

(٣) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٤١٠.

يحصده فأيما امرئ وطئ ذلك النبت يلعنه ذلك الملك»[١].

كما وأكدت بعض الروايات على عدم قطع بعض أنواع الأشجار التي كانت موجودة بندرة في بعض الأماكن وما ذلك إلا للحفاظ على الثروة النباتية ولا سيما في المناطق الصحراوية التي تكافح الدول اليوم لجعلها مناطق خضراء وارفة ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنما يكره قطع السدر بالبادية لأنّه بها قليل»[٢].

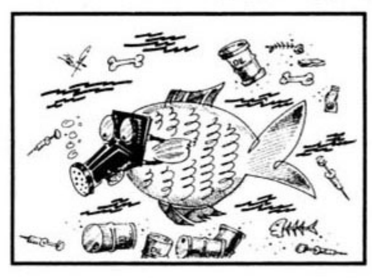
بل كانت الأوامر الصريحة تصدر من النبي لقواده وجيشه تنهاهم عن قطع الأشجار أو تدميرها وضرورة المحافظة عليها «ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها»، ونتيجة إغفال الإنسان لهذه التوجيهات وإفراطه في بناء مدنيته على حساب الموجودات الطبيعية لهذه العناصر الضرورية للحياة ازداد التلوث ونسبة ثاني أوكسيد الكربون الذي يقول العلماء إن تزايده لا يرجع فقط إلى استهلاك مصادر الوقود (الفحم، النفط) وإنما جاءت نتيجة التدهور الذي أصاب الغطاء النباتي المستهلك الرئيسي لثاني أوكسيد الكربون، ما سبب إخلالاً في مكوّنات الهواء.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٤١٠.

(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٩١٥٠.

٢ـ في مجال الحفاظ على الثروة الحيوانية:



وعندنا من النصوص والأحكام ما يكفي لإلقاء ضوء على مدى العناية بهذه الثروة، كحكم صيد اللهو الذي يشكل هدراً وإتلافاً لثروة حيوانية من دون مسوغ وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يخرج إلى الصيد مسيرة يوم أو يومين أيقصر في صلاته أم يتم؟

فقال ﷺ:

«إن خرج لقوته وقوت عياله فليفطر وليقصّر، وإن خرج لطلب الفضول فلا ولا كرامة»[(١)].

فإذا كان صيد الحيوانات برية كانت أو مائية حلالاً شرعاً فقد نهى الإسلام عنه طالما كان لغير منفعة، لذا ورد في الحديث عن رسول اللّه ﷺ:

«من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى اللّه تعالى يوم القيامة يقول يا ربِّ إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة»[(٢)].

وعنه ﷺ:

«أنه نهى عن قتل كل ذي روح إلا أن يؤذي»[(٣)].

---

(١) الكافي، ج٣، ص٤٣٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٦١، ص٣٠٦.
(٣) ميزان الحكمة، ج٢، ص٧١٣.

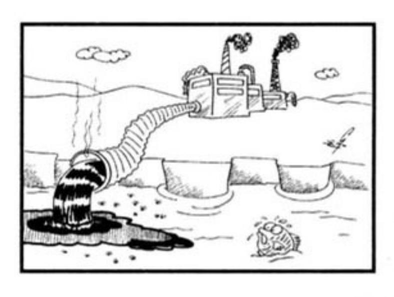
وعنه أيضاً ﷺ:

«ما من دابة يقتل بغير الحق إلا ستخاصمه يوم القيامة»[1].

وفي مضمونه روايات أخرى.

بل لنا في الروايات التي ترشد إلى التعاطي بالرفق مع الحيوان ما يكفي لعكس صورة واضحة على مدى الحرص على حياة المخلوقات.

٣ـ في مجال المياه:



في هذا المجال نرى القرآن الكريم قد تحدث عن الماء فأشار إلى صبّه من السماء وأنه السبب في إنبات النبات:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[2].

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[3].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص٧١٢.

(٢) سورة الحج، الآية/٦٣.

(٣) سورة عبس، الآيات/٢٥ـ٣٢.

فـالعـلاقـة واضـحـة بين الماء وإنبـات النبـات، وهناك موضوعان أساسيان في الماء ينبغي ملاحظتهما:

أ. الاقتصاد وعدم الإسراف:

لا شك أن قلّة الماء تؤثر سلباً على نمو النبات وبالتالي على حياة الحيوان، فالواجب يقتضي الحفاظ على هذا الماء وعدم الإسراف في استخدامه، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أدنى الإسراف هراقة فضل الإناء»[1].

فالنهي عن الإسـراف يشمل استخدام هذه الثروة المائية التي بدأ العلماء يتحدثون عن قلتها وعدم كفايتها لسد حاجات البشر نتيجة الإسراف وسوء الاستخدام.

ب. المحافظة على نظافته ونقائه:

كمنع إلقاء الأقذار الإنسانية قريباً من مجاري المياه وقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام:

«أنه يمنع التغوّط على شطوط الأنهار»[2].

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء، وفي الظل، وفي طريق الناس»[3].

كما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام نهى أن يُبال في الماء الجاري و:

«لا يبولن في ماء جارٍ»[4].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص١٢٩٦.
(٢) سائل الشيعة، ج١، ص٣٢٤.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٩، ص١١٣.
(٤) وسائل الشيعة، ج١، ص٢٤٩.

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«**وكره أن يتبول في الماء الراكد**»[1].

وقد أكد الرسول ﷺ على أمته أن تتخذ مكاناً خاصاً للتخلي وهو الكنيف حيث اعتبر الرسول ﷺ في الحديث المروى عنه:

«**من فقه الرجل أن يرتاد موضعاً لبوله**»[2].

هذا الموضع هو الموضع الخاص حيث يحصر فيه ما يلوث البيئة في مكان واحد عوضاً عن أن تصبح البراري والطرقات والساحات والأنهار مصارف صحية متعددة بما يشكل ذلك من انتشارٍ للأوبئة المختلفة.

٤ـ في مجال الهواء:



يمثل الهواء العامل الرئيس لاستمرار الأحياء، لأن التغذية لا تقوم من دونه، فالأوكسجين عنصر أساسي في تغذية الحيوان والإنسان وبمركباته هو عنصر أساسي في تغذية النبات، ولكن الصناعات الحديثة تسببت بإنتاج كثيف لثاني أوكسيد الكربون مما قد يحدث خللاً في تركيب الهواء،و في هذا المجال نجد أن من صلاحيات المحتسب أن يحول دون أن

---

(١) وسائل الشيعة، ج١، ص١٤٣.

(٢) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٣٨.

ينصب المالك تنوراً في داره يؤذي الجار بدخانه، فإذا كان هذا الأمر ممنوعاً، فما بالك في غير ذلك مما يشكل ضرراً أكبر يتجاوز الجار ليعم البشر كما هو الحال في الغازات السامة والاشعاعات النووية.

كما أننا نجد في السنّة الشريفة أن الرسول كان يمنع أن يلقى السمّ حتى في بلاد العدو وإذا كان السمّ في زمن النبي يُقرّ في الأرض فهو اليوم ينتشر في الهواء.

وهذا ما يمكن التمسك به في مجال الحفاظ على التربة وخلوّها من النفايات السامة التي تؤثر في النبات وما يتغذى بها.

٥ـ محيط الإنسان:

النظافة والتطهير:

وقال تعالى:

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[١].

إن الطهارة هي من الوسائل التي حرص الإسلام عليها واعتمدها كوسائل مجدية في حفظ البيئة، والدين الإسلامي لا نظير له في مدى اهتمامه بالنظافة حتى ورد عن النبي ﷺ إنه قال:

«النظافة من الإيمان»[٢].

فجعلها من مقتضيات الإيمان. ويتجلى هذا الاهتمام

---

(١) سورة المدثر، الآية/٤.

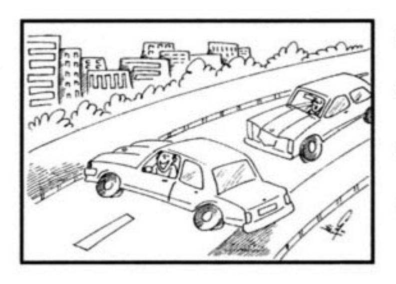
(٢) مستدرك سفينة البحار، ج١٠، ص٩٣.

بالطهارة والنظافة من خلال نظرة إلى أحكام الشريعة في الإسلام حيث نجد أهم عبادة من عباداته وهي الصلاة مشروطة بالوضوء والاغتسال وإزالة الخبائث عن البدن واللباس وأعلنها رسول اللّه ﷺ واضحة جلية:

«لا يقبل اللّه صلاة بغير طهور»[١].

الطرقات:

إن حسن استخدام الطرق وإزالة الأذى والضرر عنها قد أكد عليه الإسلام ورغب فيه انطلاقاً من أحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام فعن رسول الله ﷺ:



«الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا اللّه وأدناها إماطته الأذى عن الطريق...»[٢].

وفي الحديث عن الرسول الأكرم ﷺ:

«إن على كل مسلم في كل يوم صدقة».

قيل: من يطيق ذلك؟

قال ﷺ:

«إماطتك الأذى عن الطريق صدقة»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة، ج١، ص٣٩٨.
(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص١٩٩.
(٣) مستدرك الوسائل، ج٢، ص٤٠٢، باب ١٦، الحديث السادس.

والأذى هنا يشمل كل ما يضرّ بالطريق ويشوه جماله ونظافته عن النبي ﷺ:

«اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد والظل وقارعة الطريق»[1].

أيضاً ورد عنه:

«من سلّ سخيمته على طريق عامر من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[2].

ورد عن الإمام الصادق:

«من أضرّ بشيء من طريق المسلمين فهو له ضامن»[3].

لكل ذلك أفرد الفقهاء باباً في كتب الفقه أسموه بالمشتركات والمراد بها الطرق والشوارع والمساجد وغيرها مما كان الانتفاع بها عاماً ذكروا فيه أحكام التصرف فيها فقالوا مثلاً: لا يجوز التصرف لأحد في (الشارع العام) ببناء حائط أو حفر بئر، أو شق نهر أو غرس أشجار ونحو ذلك وإن لم يكن مضراً بالمستطرقين نعم لا بأس بما يعدّ من مكملاته ومحسّناته.

ويدخل ضمن الأذى الذي دعا الإسلام إلى رفعه وإماطته عن الطريق كل ما يضرّ بمستخدمي هذه الطرق،

---

(١) المهذب البارع، ج٣، هامش الصفحة السادسة.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ج١، ص٩٨.

(٣) وسائل الشيعة، ج٢٩، ص٢٤١.

كإلقاء الزجاجات الفارغة وبقايا الطعام والإخلال المضر بقوانين السير بحيث يمنع من تعدّي السيارات على الأماكن المعدّة للمشاة، ففي ترك هذه التجاوزات إماطة أذى عن الطريق ومستخدميه يؤجر عليه الإنسان.

٦ـ التلوّث الضوضائي:

من أنواع التلوث البيئي الذي يشكو منه الكثيرون التلوث الضوضائي أو السمعي، ويراد به الضجيج والأصوات العالية التي تؤذي السمع وتقلق الراحة وتتلف الأعصاب، وخصوصاً المرضى والأطفال ومن عملهم يحتاج إلى فكر وسكينة وهدوء.

والمحرك لهذه الأمور كلّها هو الإنسان، فهو المسؤول عما يعانيه هو نفسه، والسبب في كل هذا السلوك غير السوي هو الغفلة عن نتائج تصرفاتنا تجاه الآخرين والاستهتار بمشاعرهم وحرياتهم، والانغماس في محبة الذات وما يرضيها، لذا تجد في الأحاديث والروايات ما يحث الفرد المسلم على الإحساس بالآخرين حتى يتخلى عن النوازع الذاتية والعوامل الفردية:

«اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها»[(١)].

---

(١) نهج البلاغة، ج٣، وصية ٣١، من وصية الإمام علي لابنه الحسن ﷺ.

فهذه الأطر العامة تعطي الجواب الجلي لأي تساؤل عن الموقف الشرعي والرواية الإسلامية في مجال ما يمكن أن تسميه بالتلوث الضوضائي، ولكن ماذا عن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الخاصة الواردة في هذا المجال.

الموقف القرآني:

في البداية نقف عند قوله تعالى:

﴿... وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[1].

فنجد ذلك الأسلوب الذي يركّز على إبعاد الإنسان نفسياً عن رفع صوته، بتجريد علو الصوت عن كل قيمة جمالية أو عقلانية، ويا له من تشبيه فصوت الحمير أنكر الأصوات لمبالغتها في رفعه ولذا أمر تعالى بغض الصوت أي النقص والقصر فيه، وليس القبح من جهة ارتفاع الصوت وطريقته فحسب، بل من جهة كونه بلا سبب أحياناً؛ قالوا أن هذا الحيوان (الحمار) يطلق صوته أحياناً بدون مبرّر أو داعٍ، ومن دون أي حاجة أو مقدمة، ويطلقه في محله ووقته وفي غيره.

وما يستهدفه القران الكريم هو تربية الذوق الإنساني

---

(١) سورة لقمان، الآية/١٩.

على أن يمارس الإنسان وظائف أعضائه بحكمة وهدوء، دون أن يسيئ إلى نفسه وإلى الآخرين.

وما قدمناه من شجب الإسلام للأصوات العالية والجلبة والضجيج هل يقتصر فيه على مضمون دون مضمون أم أن الأمر مرتبط بطبيعة الصوت أيّاً كان المحتوى؟

هناك أمور ورد الشرع برفع الصوت فيها من شأنها ألا تحدث ضجيجاً إذا روعيت فيها تعاليم الشرع وآدابه كالأذان والتلبية في الحج، ومن الأمور التي يرجح رفع الصوت فيها صيحات التكبير في الحرب التي لها تأثيرها في تقوية قلوب الجنود المؤمنين وبث الرعب في قلوب أعدائهم.

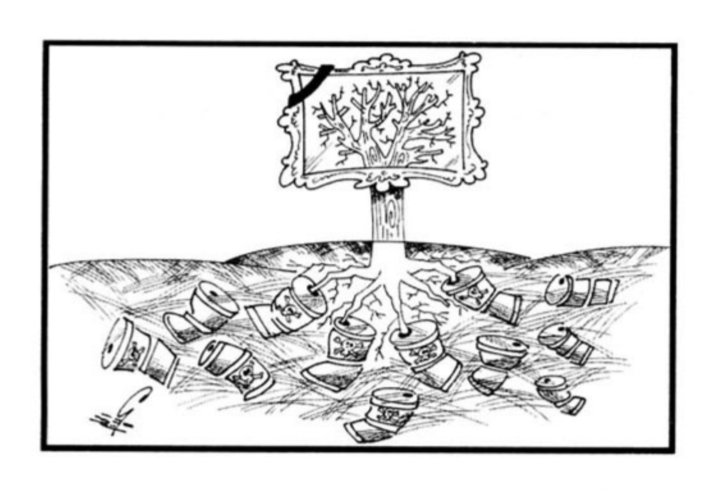
أما إن تطلق الأصوات والمكبرات في أي وقت كان وأن ترفع إلى أبعد الحدود بحجة تضمنها القرآن الكريم أو غير ذلك مما هو راجح في نفسه، فهذا خاضع للقاعدة العامة القاضية بضرورة عدم الإساءة إلى الآخرين.

ومن هنا أفتى بعض الفقهاء بحرمة استعمال الجهاز الصوتي بشكل مزعج إذا كان في ذلك إيذاء للناس وإن تضمن قراءة القرآن الكريم.



الخاتمـــــة

ثقافة حفظ البيئة



للإسـلام وسـائله العـديدة لحـماية البـيئـة، وتنمـيتـها وتحسـينهـا، ومـحـور هـذه الوسـائل هـو الإنسـان نفسـه لأن الطبـيعـة من حـولنا لا مـشكلة منها ولا خـطر فـي ذاتهـا، وإنما المشكلة تنبع من صلة الإنسـان بها وتصـرّفـه فـيهـا وتعامله معها. وهـذه الوسـائل تتمثل فـي:

١. تربية الناشئة:

عـبـر غـرس فكرة العناية بالبـيئـة والحـفـاظ عليـهـا، والاعـتدال في الاسـتفادة منها بلا شح ولا إسـراف، وخلق حس المسؤولية تجـاه مـا حوله وليس البشـر فـقط، عـمـلاً بقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«اتقـوا اللّه في عـبـاده وبلاده فـإنكم مـسـؤولون حتى عن البقاع والبهائم»[1].

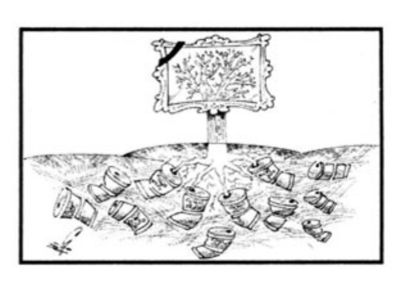
هـذه المعـاني والمضـامين يجب غـرسـهـا فـي عـقـول ووجـدان الأطفـال منذ نعـومـة أظفـارهم وأن تكون مـواد تدريسـيـة فـي المناهـج التـعليـمـيـة والكتب التـدريسـيـة، إن التعليم في الصـغـر كالنقش في الحـجـر، وفـي هـذه السـنّ تتكوّن العادات وتكتسب الفضائل.

٢. التوعية والتثقيف للكبار:

وذلك عن طريق المؤسـسـات الثـقـافـيـة والجـمـعـيـات

---

(١) نهج البلاغة، ج٢، الخطبة ١٦٧.



البيئية ووسائل الاعلام بشتى وجوداته مقروءاً ومسموعاً ومرئياً، وحتى عن طريق الخطب الدينية والندوات وبيان الموقف الشرعي من هكذا موضوعات.

وفي الإسلام كل المواد الأساسية الكافية لاستنباط تشريعات تحمي البيئة وهي بحاجة إلى إضاءة اعلامية مركّزة كغيرها من مفردات التشريع.

٣ـ رقابة الرأي العام:

عملاً بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن إصلاح البيئة ورعايتها من المعروف، وإن إفسادها وتلويثها من المنكر. قال تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1].

وأن نبني الضمير والوازع المسؤول والملتزم لدى الإنسان وترسيخ السلوكيات البيئية الصحيحة لحماية البيئة ليصحح الإنسان مسار علاقته مع بيئته بمسار إسلامي بحيث يضبط ويمنع أي سلوك غير بيئي.

---

(١) سورة التوبة، الآية/ ٧١.

الفهرس